اجتهادات
هل المقاومة الأوروبية إرهابية؟

يُنسى القانون الدولى أو يُمَزَق حين يتعلق الأمر بالمقاومة الفلسطينية. إن لم يستكن الفلسطينيون ويقبلوا العيش تحت الاحتلال أو التهجير، فما هم إلا إرهابيون. وليست هذه المرة الأولى التى يزعم أوروبيون وأمريكيون أن النضال الوطنى الفلسطينى ضربُ من الإرهاب. اتُهمت الجبهة الشعبية به فى سبعينيات القرن الماضى. ومازالت مُصنفةً كمنظمةٍ إرهابية من جانب حكوماتٍ غربية لا تُقيم وزنًا للحق الذى يكفله القانون الدولى فى مقاومة الاحتلال, وتشطب من التاريخ القريب دورًا قامت به الأمم المتحدة فى تصفية الاستعمار. ولم يكن ذلك الدور إلا نتيجة تصاعد مقاومة حركات التحرر الوطنى ضد القوى الاستعمارية التى تقودُ الآن حملة وصم المقاومة فى غزة بالإرهاب.

ولكنهم لا يشطبون تاريخًا يعتزُ به العالم فقط. إنهم يُقّبِّحون بالتبعية تاريخ المُقاومة الأوروبيبة التى يعتزون بها. فمادامت المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيونى «إرهابية»، فلِم لا تكون المقاومة الأوروبية ضد احتلال ألمانيا النازية إرهابيةً

أيضًا. هكذا يكون القياس بمعيارٍ واحد لا يعرفه من كشفت مجازر غزة حقيقتهم كما لم يحدث من قبل.

والقياس، هنا، على الوقائع. فقد خطف مقاومون فرنسيون مدنيين ألمانًا وجدوهم فى طريقهم خلال بعض هجماتهم على معسكرات قوات الاحتلال النازى. خطفوا أطباءً وطبيباتِ ومُمرَّضين ومُمرَّضاتٍ وإداريين خلال هجمات استهدفت تلك القوات. وهذا ما حدث مثله فى هجوم 7 أكتوبر، الذى كان هدفه الأساسى فرقة غزة التابعة للقيادة الإقليمية الجنوبية فى الجيش الإسرائيلى (الفرقة 143). كما عمد مقاومون فرنسيون إلى إثارة أكبر قدر من الفوضى فى مدنٍ عدة بهدف إرغام الألمان على نشر قوات إضافية فيها خصمًا من مناطق الحرب.

ومن الطبيعى أن يكتب المنتصر التاريخ على هواه، وخاصةً حين يكون المهزوم مُستسلِمًا ومُسلَّمًا بكل ما يُفرض عليه من ابتزاز, مثل ألمانيا منذ 1945. غير أنه فى تاريخ المقاومة الأوروبية صفحاتٍ مخفيةً يُمكن فتحها, وخاصةً المقاومة الفرنسية التى اختلطت الوقائع بالأساطير فى السردية الشائعة عنها. فإما أن تكون كل المقاومات ضد الاحتلال وطنية، أو أن تكون كلَها أيضًا إرهابيةً وفى مقدمتها المقاومة الأوروبية.